

عبدالله بن زايد يدعو إلى السلام في نصب المحرقة

لا تزال صيحات المتألمين تتجول بين أرجائه بصمت



وفي عودة إلى النصب يمكنني القول إنه ليس عملاً فنياً جنانياً بقدر ما هو صورة مخزنة عن مسيرات فجائية قامت بها شعوب ولا تزال شعوب أخرى تقوم بها اليوم. أما أن لذلك الألم أن ينتهي؟ في إمكان السياسيين أن يفعلوا الشيء الكثير في ذلك الاتجاه. لذلك لم تكن زيارة الشيخ عبدالله بعمية وزير الخارجية الإسرائيلي غابي أشكينازي مجرد لحظة عابرة صنعت حدثاً قابلاً للتأويل. إنه حدث صنعته إرادة السلام في منطقة، تعبت شعوبها من المسيرات الفجائية. ولم يكن هناك مكان مناسب للإعلان عن ذلك الحدث أكثر من نصب لا تزال صيحات المتألمين تتجول بصمت بين أرجائه.

المحرقة صارت رمزا عالميا لا حاجة لربطها باليهود الذين تعرضوا للقتل زمن النازية. هناك حدث بغضب تعرضت له البشرية كان دليلا على لحظة تاريخية أنهارت فيها القيم الإنسانية

ليس من اليسير تحقيقها إذا ما استمرت الصراعات في سياقها القديم في مناطق مختلفة من العالم وفي مقدمتها منطقتنا العربية التي عانت من العنف واستبدت بها لغة الكراهية زمناً طويلاً.

عن النصب إلا باعتباره محاولة لتوثيق لحظة موت واحدة ولكن النصب ليس كذلك. هناك موت مستمر. يمكننا أن نشبه السير في دروب النصب كالمشي في حقول الألغام. ما من شيء يشعر بالاطمئنان. سينفجر اللغم تحت قدميك في أي لحظة. لذلك فإن النصب يتعدد إيقاعاته وهي إيقاعات لا تروي سوى جملة واحدة من الحكاية إنما يكفي بالناس مع الألق ولا يصل إلى النهاية. ما من نهاية ما دامت المحرقة لم تنته. سيكون ذلك سبباً لتذكر المحرقة والتحرر منها في الوقت نفسه. وليس هناك من سبيل للتحتر منها سوى السعي في اتجاه عدم تكرارها لا بالقول وحده بل بالفعل. وهو ما يتطلب بذل جهود عظيمة من أجل فرض لغة السلام واستبعاد لغة العنف. تلك رسالة

يومها فكان ذلك دليلاً على لحظة تاريخية. أنهارت فيها القيم الإنسانية. وكلما تجددت تلك اللحظة تجدد الشعور بالألم وعادت المذبحة إلى الظهور لتعلن فشل البشرية في القضاء على الهمجية الكامنة التي تظهر بين حين وآخر ما أن تجد لها منفذاً. لذلك لم يوجه الشيخ عبدالله كلمته إلى اليهود وحدهم. يقول للجميع: البشرية أمام استحقاقات إنسانيتها وأمام مخاوف همجيتها. وإذا ما عدنا إلى نصب المحرقة الذي تقوم فكرته على تشعب دروب الألم وتعدد مستوياته فإنه يستند إلى مفردة تشكيلية واحدة تنكرر، لكن كما لو أنها ليست المفردة ذاتها. ذلك لأنها لا تروى بمفردها. كل ما هو خاص يتحول إلى جماعي. وكل ما هو ذاتي يأخذ طريقه إلى سياق إنسانية لا حدود لها. المفردة الصامتة كانت هي الأساس لنصب يبدو صامتا من الخارج، غير أن ما يجري على التجول في دروب تلك الماتمة مدفوعاً بقوة الألم لا بد أن يكتشف أن تلك العمارة الألفية إنما تتسع في استمرار ليكون العالم كله مساحتها. إنها فكرة عن المصير البشري. نحن هناك كلنا وكلنا غرباء ومجهولوا الأسماء. فما من شاهدة تحمل اسماً. لقد تبرع القتل باسمائهم لتكون من نصيب بشر لم يعرفوا عليهم غير أنهم سيشاركونهم مصيرهم. هل انتهت المحرقة؟

المشي بين حقول الألغام لا يمكننا القول إنما نقف أمام النصب الذي تحضنه برلين باربيجة، لا رغبة منها في أن تعاقب نفسها بل من أجل أن تسجل لحظة مغيبة من التاريخ البشري. النظرة من الأمام لا تعطي فكرة

دروبها كما لو أنه يسير في اتجاه المطلق أو يقيم في ثقب أسود. بصريا ينسئ المرء مشهد المقبرة الذي يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى. فالمقبرة هي فضاء يحتفي بالموت وحده وهو فضاء موحش. أما هذا النصب الذي تغلب الدهشة فيه على أي تأثير آخر فإن ما يذكّر به هو الموت. هناك دوي عاصف يتلوى مختفياً بين الدروب التي تصنعها الألواح وهو دوي لا يزعج ولا يصم الأذان حين يتسلسل إلى الروح حياً بخفة مدفوعاً بقوة المشاعر المشدودة التي ينطوي عليها. صمّم المهندسان نصبا هندسياً، نوعاً من العمارة الصامتة. من النظرة الأولى يبدو الأمر ثقيل الوطأة ويخلو من أي عاطفة. فالمسألة لا تتعلق بالموت بل بالأسباب التي وقفت وراء ذهابهم مكرهين إلى الموت. وهو ما أشار إليه الشيخ عبدالله حين تحدث عن دعاة التطرف والكراهية وهو ما لا تخلو إسرائيل نفسها منه حين يتعلق الأمر بالحقوق الفلسطينية.

وكان قد كتب قبلها "إن المكان يذكّر بضحايا دعاة التطرف والكراهية ويقدم إنسانية نبيلة تدعو إلى التعايش والتسامح" وهي القيم التي تأسست عليها دولة الإمارات العربية المتحدة ولا تزال حريصة على الإغلاء من شأنها وتجسيدها في كل تجليات وجودها السياسي والإنساني.

الفكرة التي أراد الشيخ عبدالله بن زايد التأكيد عليها تتعلق بالمخنى الإنساني الذي يتخذ وجود ذلك النصب الغريب، شاسع المساحة قريباً من بوابة براندنبورغ وهي رمز مدينة برلين.

فالتأثير البصري الذي يسببه النصب الممتد أفقياً يتخطى مناسباته الألفية المباشرة. ربما لأن الفجائية عقرت على الشكل الذي تتخذه بعد أن تفرغ حملتها من الألم والعذاب. هناك من رأى الفجائية كما لو أنها كيان خالص. لقد نجح المهندس المعماريان بيتر إيزنمان وبورو هابولد في تجسيد الصمت الهائل الذي تلا المجزرة من خلال 2711 لوحاً خرسانياً، رتببت بطريقة إيقاعية غير منتظمة، يشعر المرء حين يمشي في



فاروق يوسف كاتب عراقي

"إن ذلك لن يحدث مطلقاً مرة أخرى". بتلك الجملة ذات الدلالة الإنسانية القوية أنهى الشيخ عبدالله بن زايد وزير الخارجية الإماراتي الكلمة القصيرة التي كتبها في سجل زيارات نصب المحرقة "هولوكوست" ببرلين.

نصب الفجائية البشرية

الفكرة التي أراد الشيخ عبدالله بن زايد التأكيد عليها تتعلق بالمخنى الإنساني الذي يتخذ وجود ذلك النصب الغريب، شاسع المساحة قريباً من بوابة براندنبورغ وهي رمز مدينة برلين.

فالتأثير البصري الذي يسببه النصب الممتد أفقياً يتخطى مناسباته الألفية المباشرة. ربما لأن الفجائية عقرت على الشكل الذي تتخذه بعد أن تفرغ حملتها من الألم والعذاب. هناك من رأى الفجائية كما لو أنها كيان خالص. لقد نجح المهندس المعماريان بيتر إيزنمان وبورو هابولد في تجسيد الصمت الهائل الذي تلا المجزرة من خلال 2711 لوحاً خرسانياً، رتببت بطريقة إيقاعية غير منتظمة، يشعر المرء حين يمشي في

عصر التفكير الأمني في المنطقة العربية

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العقبوي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

بين التطبيقين الأمنية والسياسية، لكنها أوجدت حساسية، لأن دور الطبقة الثانية أصبح قليل الفاعلية، فغالبية المحركات وعجلة القيادة تقعان في قبضة يد الطبقة الأولى.

رستت هذه الحالة نفوذ الطبقة الأمنية بسهولة في الكثير من مفاصل الحكم في بعض الدول العربية، بذريعة أنها الأكثر قدرة على مجابهة الأزمات، ما يسهم في توسيع رقعة الشطرنج لتشمل مساهمات مدنية مع الأمنية. كانت هذه الحالة تمثل شيئاً مرفوضاً في دول عدة، أو على الأقل محل امتعاض من قبل فئات كثيرة، لأنها ترخي بظلال قاتمة على إدارة الحياة السياسية، بينما الآن لم تعد المناهعات مؤثرة، في ظل أجواء مشحونة بازمتات في الداخل، أحد أبرز مظاهرها شكل التهديدات التي تحملها التنظيمات المتطرفة للبلاد.

تعتمد تحديات الخارج على هذا العنصر الذي يتضافر مع تحديات أخرى تمثل تهديداً مباشراً للأمن القومي للدولة. وكلها عوامل تحتاج إلى عقلية تدرك جوهر المخاطر التي تحملها قوى وجماعات مسلحة، تبدو الطرق السياسية قليلة الفاعلية معها.

في تسوية الأزمات واللقاءات التي تسبقها لا يخلو وفد رسمي من قيادات عسكرية، تدير أموره من وراء الكواليس، وتقديراتهم محل اعتبار، لأن الطابع الذي يغلب عليه الصراع يظل مسيطراً، فتكونت لجان عسكرية خاصة بالإدارة وتحديد التوجهات. القى هذا البعد بملامح سلبية على درجة المرونة التي تتحلل بها إدارة الأزمات، حيث انخفضت إلى حد كبير، لأن من يديرون الدفة يتسمون بقدر عالٍ من الصرامة، ويرفعون دائماً سقف التوقعات، ويحجمون عن تقديم التنازلات، ما يفسر الانسداد الحاصل في عدد كبير من المشكلات الإقليمية، رغم التوصل إلى قناعات تشي بحلها. يفسر تراجع دور السياسيين وتقدم العسكريين زيادة المناقشات والوقت الذي تستغرقه تسوية الأزمات وانتقالها من محطة إلى أخرى، ويؤكد زيادة التعقيدات التي تحيط بها، والحرص على سد ثغرات التفاصيل التي يمكن أن تفتح أبواباً جديدة للشياطين.

بما انصب على تعظيم مماثل لقادة المؤسسات العسكرية، والتقليل نسبياً من حيوية النخب السياسية، والدور الذي تقوم به في تغذية الهياكل بالرؤى والدراسات المستقبلية.

كما أن التهديدات المباشرة القادمة من دول مثل تركيا وإيران، أو عبر أذرعها من ميليشيات ومرتزة وكتائب وعصابات مختلفة، تسلك طريقاً مسلحاً لتحقيق أهدافها، وترى أنه المدخل الوحيد الذي يؤدي إلى تحقيق الطموحات، ومن الطبيعي أن يتم التعامل مع ذلك بوسائل أمنية. فلا مجال هنا لتصدر الأدوات السياسية النمطية. تلجأ الدول في هذه الحالات إلى القنوات الاستخباراتية وتتبع عن الأثر السياسية، لأن معظم الأزمات والخلافات أمنية، وتفصيلها موجودة عند الجهات التي تعرف خباياها، ما يمكنها من امتلاك مفاتيح الحل والعقد.

خلفت هذه الظاهرة ميراناً كبيراً، له أسبابه المفهومة إلى حد بعيد، للمزيد من أدوار القيادات العسكرية في المنطقة، ودفعت بهم إلى القبض على زمام أمور عديدة بالتوازي مع أدوارهم الرئيسية، وقلصت مساحة الأدوات السياسية.



المجالات التي تتطلع إليها دول المنطقة، وتحرص على الاستفادة من التطورات الحديثة لتعزيز القدرات الأمنية.

في تسوية الأزمات واللقاءات التي تسبقها لا يخلو وفد رسمي من قيادات عسكرية تدير أموره من وراء الكواليس وتقديراتهم محل اعتبار لأن الطابع الذي يغلب عليه الصراع يظل مسيطراً

يقع على عاتق الجهات العسكرية الدور الكبير في هذه المسألة، بحكم خبراتها، الأمر الذي يعزز من مكانتها لدى النظام الحاكم، حتى لو كانت ميوله مدنية. عظمت التداخليات السلبية التي لحقت ببعض الجيوش العربية من أهمية إعادة البناء والجاهزية القوية، والإسلة وأنواعها إلى غنان السماء، وأصبح التعاون في مكافحة الإرهاب من

من ينظر إلى التطورات في كل من سوريا والعراق واليمن وليبيا ولبنان، وقبلها جميعاً الصومال، وغيرها، يجد الملمح الأمني حاضراً بقوة، وتتجاوز تداعياته الحدود المحلية، حيث تتراكم خطوط خارجية لتلعب دوراً مؤثراً في صعود وهبوط درجة الصراع، وتمدد الروافد إلى دول مجاورة.

من ينظر أيضاً إلى الدول الأكثر هدوءاً، مثل مصر وتونس والجزائر، يجد على الفور أن الإرهاب والجماعات المتطرفة في مقدمة المخاطر التي ترزعها، بما يضيف بريقاً على المكونات الأمنية، حيث تمادت الفرق التابعة لهذه الدول في تغليب القتل لمواجهة الخصوم، وكشفت عن وجه قبيح لا يتردد في التدمير، ولا يمكن مبادلة العنف بالسلام، وأخرجت البعض عن حلمهم بإمكانية التعايش مع المتشددين أو حسن الظن بهم.

تأخذ الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقد بين الدول اتجاهات عسكرية أكثر منها سياسية، بما يتناسب مع طبيعة التحديات الإقليمية، وارتفعت صفقات الأسلحة وأنواعها إلى غنان السماء، وأصبح التعاون في مكافحة الإرهاب من



محمد أبو الفتح كاتب مصري

تعيش المنطقة العربية حالياً أوج ازدهارها في غلبة التفكير الأمني على السياسي، وفرضت الصراعات المسلحة التي تموج بها حدوث تقدم واضح في دور القادة العسكريين، وتضخم المهام التي يقومون بها، بما يتجاوز جمع المعلومات وتحليلها والتوصية بالقرار المناسب، إلى حد اتخاذ السبل اللازمة لتنفيذه دون معاونة سياسية.

بيد أن عهد التحالف السياسية الذي راج في سنوات سابقة قد تراجع كثيراً، حتى في عملية حل النزاعات وتسوية الأزمات باتت تأثيرات هؤلاء غير ملموسة، وإن وجدوا فالبعض منهم ينزوي أو يظهر لرمز الدواعي الدبلوماسية في الاجتماعات واللقاءات العامة، بينما تدار الحلقات المركزية من قبل جهات بعيدة عنهم، غالبيتها خفية.

لم تعد هذه الظاهرة قاصرة على دولة معينة، بل تشمل دولاً كثيرة في المنطقة، من دون تفرقة بين طبيعة أنظمتها الحاكمة، وهل هي ذات جذور عسكرية أم مدنية، وملكية أم جمهورية، فالنتيجة تكاد تكون متشابهة في الإشتباك مع أحداث خرجت عن سياق الحروب التقليدية، المعروفة بدايتها ونهايتها، والطاولة التي يجلس عليها أصحابها. تتجاوز القضية الحالة العربية الراهنة لتعبر إلى دول في الغرب والشرق، حيث تراجعت أدوار وزارة الخارجية، فعدد كبير من المشكلات تحصل طابعاً عسكرياً، ما منح وزارة الدفاع وأجهزة الاستخبارات في دول متباينة أدواراً مضاعفة تفوق مهامهم العادية، وأضحت مسؤولة عن التعامل مع المعطيات في إدارة الحرب والسلام. يترقب المتابعون أنفسهم التعرف على الفاعلين الأمنيين وفحوى تصوراتهم السابقة، سواء كانوا دولاً أو تنظيمات أو أشخاصاً، ليتمكنوا من فهم سير الكثير من النزاعات اللاحقة، ويسهم هذا البعد بدور بارز في رسم السياسات على الأرض.